

# **العجائبي في رسالة حي بن يقظان لابن طفيل**

**طالب الماجستير حسن قاسم حسن**

**قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الإلهيات والمعارف الإسلامية، جامعة شهيد تشمران أهواز،  
أهواز، إيران**

**Hsnq912@gmail.com**

**الدكتور جواد سعدون زاده (الكاتب المسؤول)**

**أستاذ مشارك في قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الإلهيات والمعارف الإسلامية، جامعة شهيد  
تشمران أهواز، أهواز، إيران  
j.sadounzadeh@scu.ac.ir**

## **Aleajayibiu in the Epistle of Hayy ibn Yaqzan by Ibn Tufayl**

**Majestr student Hassan Qassem Hassan**

**Department of Arabic Language and Literature , Faculty of Theology and  
Islamic Knowledge , Shahid Chamran University Ahvas , ahvaz ,Iran**

**Dr. Javad Sadounzadeh (Responsible author)**

**Associate Professor , Department of Arabic Language and Literature ,  
Faculty of Theology and Islamic Knowledge , Shahid Chamran University  
ahvaz , Ahvas , Iran**

## **Abstract:-**

The message (Hayy ibn Yaqzan) by Ibn Tufail is one of the most important narrative texts that came to us from Andalusia. It is a philosophical and intellectual text in which its author discusses several issues formulated in a beautiful narrative style. The magical element represents a prominent component in the message; through characters, events, description, and the breach of time and place. Due to this importance, the researcher saw the study of this text in its magical aspect only. After reviewing previous studies, the researcher found that there was no magical study of this text. This research consists of three sections: the first is about the magical event and its role in conveying the idea that Ibn Tufail wanted. The second section was about the magical character and its effect in moving events and their transformations with the characters surrounding it. The third section was about the description and its effect in conveying the idea and simplifying the narrative, because the description gives us scenes or images that bring us closer to the ideas that we want to convey to the recipient. As for the introduction, we briefly touched on the name of Ibn Tufail and the importance of the message. At the end of the research, we put a set of results, and we also put a list of the names of the sources that we relied on.

**Key words:** Ibn Tufayl, Hayy ibn Yaqzan, Andalusia , the miraculous event, description, narration.

## **المخلص:-**

تعد رسالة (حي بن يقظان) لابن الطفيل من اهم النصوص السردية التي جاءت الينا من الاندلس، فهي نص فلسفي وفكري يناقش صاحبه قضايا عدة صيغت بأسلوب سردي جميل، ويمثل العنصر العجائبي مكونا بارزا في الرسالة؛ وذلك عن طريق الشخصيات والاحداث والوصف، وخرق الزمان والمكان، ولهذه الأهمية رأى الباحث دراسة هذا النص في جانبه العجائبي فقط، وبعد الاطلاع على الدراسات السابقة وجد الباحث عدم وجود دراسة عجائبية لهذا النص.

يتكون هذا البحث من ثلاثة مباحث، الأول حول الحدث العجائبي ودوره في إيصال الفكرة التي يريد بها ابن طفيل، والمبحث الثاني فقد كان حول الشخصية العجائبية، واثرها في تحريك الاحداث وتحولاتها مع الشخصيات المجاورة لها، اما المبحث الثالث فقد كان حول الوصف، واثره في إيصال الفكرة، وتبسيط السرد، لان الوصف يعطينا مشاهد أو صور تقرب لنا الأفكار التي نريد نقلها للمتلقي، اما في التمهيد فقد تطرقنا الى اسم ابن طفيل بشكل موجز واهمية الرسالة، وفي نهاية البحث وضعنا مجموعة من النتائج، كذلك وضعنا قائمة بأسماء المصادر التي اعتمدنا عليه.

**الكلمات المفتاحية:** ابن طفيل، حي بن يقظان، الأندلس، الحدث العجائبي، الوصف، السرد.

## التمهيد: اسمه وأهمية القصة

ابن طفيل: (٤٩٤ - ٥٨١ هـ)

ذكره الزركلي في الاعلام فقال: ((محمد بن عبد الملك بن محمد بن محمد بن طفيل القيسي الأندلسي، أبو بكر: فيلسوف. ولد في وادي آش... وتعلم الطب في غرناطة، وخدم حاكمها. ثم أصبح طبيباً للسلطان أبي يعقوب يوسف (من الموحدين) سنة ٥٥٨ هـ واستمر إلى أن توفي بمراكش، وحضر السلطان جنازته. وهو صاحب القصة الفلسفية (حي بن يقظان) قال المراكشي في المعجب: رأيت له تصانيف في أنواع الفلسفة من الطبيعيات والإلهيات وغير ذلك، ورأيت بخطه رسالة له في (النفس) وكان أمير المؤمنين أبو يعقوب شديد الشغف به والحب له، يقيم عنده ابن طفيل أياماً، ليلاً ونهاراً، لا يظهر))<sup>(١)</sup>.

وهو من أهم الشخصيات الأندلسية، ((يعتبر ابن طفيل فيلسوفاً سارداً وتعد قصة حي بن يقظان سرداً فلسفياً تاماً وليست مجرد قصة أدبية، فهي تضم شخصيتين سرديتين رئيسيتين هما أبسال وسلامان وثيمة سردية كبرى هي الحياة في الطبيعة ممثلة في جزيرة منعزلة وتتكون من بنية سردية ومن أسلوبين في الحكاية هما أسلوب النظر العقلي وأسلوب الرمز الوجداني وتستهدف إثبات غائية وجودية وهي الانسجام السعيد بين الإنسان وغيره ونظام الكون))<sup>(٢)</sup>.

تتكون قصة ابن طفيل من محاور عدة، المحور الأول نشأة حي بن يقظان، والمحور الثاني تحكي كيف توصل حي بن يقظان المعرفة واكتشاف الكون الذي كان حوله، والمحور الثالث حول العالم الروحاني، والأجرام السماوية، أما المحور الرابع، حكاية أبسال وسلامان، والمحور الخامس ترك الجزيرة التي كان فيها سلامان والعودة إلى جزيرته التي نشأ فيها، وهكذا تكتمل القصة بهذه النهاية<sup>(٣)</sup>.

إن أسلوب ابن طفيل في كتابة هذه القصة هو أسلوب سردي، يتداخل في كثير من جوانبه بعوالم عجائبية ورمزية تشير إلى حقيقة الكون وبدايته، وكيف نشأت التجارب؟ ولذلك تبدو القصة محببة لدى المتلقي، وهي تحتوي على مجموعة من الحكم الفلسفية والدينية.

## المبحث الأول

### الحدث العجائبي

من أهم العناصر البنائية في السرد الحدث، وهو كل ((ما يؤدي إلى تغيير أمر أو خلق حركة أو إنتاج شيء))<sup>(٤)</sup>، وقد لجأ ابن طفيل إلى التصوير العجائبي؛ لأن العجائبي يسهم بـ((تشكيل بنية النص والإسهام في رفد النص بمشاهد ومواقف لم يكن بمقدور الواقعية والخطاب المباشر تصويرها، ويعمل على تحقيق قطيعة التماسك التي تتغنى بها الواقعية، إذ يسمح للمخيلة بالتحليق بحرية))<sup>(٥)</sup>، ففضلاً عن الجانب العجائبي في الرسالة، فإن كل عنصر من عناصر الرسالة يأخذ بعد رمزياً. والحدث هو المحرك لهذا البناء الحدث في حي ابن يقظان هو حدث عجائبي فوق طبيعي لا ينتظم وفق أسباب منطقية عقلية؛ وعندما يندمج عالم الأفكار بعالم الأشياء أو العالم المادي بالعالم الروحي، ينتج الحدث العجائبي الخارق للسببية؛ لأن هم ابن طفيل هو إيصال فكرته الفلسفية عن طريق السرد العجائبي، فلا يهتم بالانتظام الذي نجده في الواقع، وإنما نقل الأفكار والرؤى الفلسفية، فحي بن يقظان الطفل الذي تدور حوله القصة تولد من عدم من غير أم ولا أب من بطن جزيرة من جزر الهند<sup>(٦)</sup>، وقد بقي هذه الطفل في تابوت أو صندوق من الخشب في البحر مدة من الزمن ((فصادف ذلك جري الماء بقوة المد فاحتمله من ليلته إلى ساحل الجزيرة الأخرى، وكان المد يصل في ذلك الوقت إلى موضع لا يصل إليه بعد علم، فأدخله الماء بقوته إلى أجمة ملتفة الشجر عذبة التربة مستورة عن الرياح والمطر محجوبة عن الشمس تزاور عنها إذا طلعت وتميل إذا غربت. ثم أخذ الماء في الجزر، وبقي التابوت في ذلك الموضع وعلت الرمال بهبوب الرياح وتراكمت بعد ذلك حتى سدت باب الأجمة على التابوت، وردمت مدخل الماء إلى تلك الأجمة. فكان المد لا ينتهي إليها. وكانت مسامير التابوت قد قلقت وألواحها قد اضطربت عند رمي الماء في تلك الأجمة. فلما اشتد الجوع بذلك الطفل بكى واستغاث...))<sup>(٧)</sup>، إنها صور ذهنية مطبوعة في ذهن الراوي قد جرى تجسيمها في المحكي العجائبي، ولا يتجسد الزمن فيها بصورة واضحة، فالزمن وفضاء العالم فوق الطبيعي ((ليسا هما زمني وفضاء الحياة اليومية. ذلك أن الزمن يظهرها هنا معلقاً))<sup>(٨)</sup>، يتجاوز الزمن قرائن الربط بال لحظة الآنية ويكون معلقاً، فنحن نلج في (اللا زمن).

كذلك نجد هذا الطفل الذي كان في التابوت في جزيرة لا تسكنها غير الحيوانات تربيته ظبية، وتقوم برضاعته وتربيته، وهنا أيضا يحصل عندنا انمحاء للسببية، فالظبية تسمع صوت الطفل وتعرفه أي تفهمه، ثم إشارة الراوي الى ان قطعة من الخشب الذي كان يغطي الطفل قد طارت، ثم انكشف الطفل الذي كان داخل التابوت، فهذا أيضا خرق اخر للسببية، وهكذا تبنى الرسالة على مجموعة أفعال تقوم بخرق السببية المعروفة لدى الانسان العادي مما يجد نفسه في حيرة وتردد في قبولها: ((فلما سمعت الصوت ظنته ولدها، فتتبع الصوت وهي تتخيل طلاها حتى وصلت إلى التابوت، ففحصت عنه بأظلافها وهو ينوء ويئن من داخله حتى طار عن التابوت لوح من أعلاه، فحنت الظبية وحنت عليه ورئمت به، وألقت حلمتها وأروته لبناً سائغاً، وما زالت تتعهد وتربيته وتدفع عنه الأذى...))<sup>(٩)</sup>، فالظبية هنا وهي أنثى الغزال تقوم بأفعال خارقة وهي ((شخصية تدخل في إطار غير العاقل، لكنها تتصرف تصرف الإنسان، أي تصرفاً عقلياً، وتظهر في السرد والوصف والحوار بوصفها فاعلاً))<sup>(١٠)</sup>. أي حشر شخصيات من أمكنة متغيرة ومتعددة وتفصل بينهما فواصل مكانية وزمانية إلا أنها تحضر في مكان واحد كما أنها متباعدة زمنياً ويكون التقاؤها ((بزم أسطوري يحيل على الأصل الأول من خلال العودة إلى نبع تنتهي عنده كل الجداول حيث تتداخل الأشياء مع الكائنات وتستوعب الصفات في المصادر وتستغرق الأسماء في الأفعال. إنه مبدأ الامتداد الذي يستهوي النفس ويستثير انفعالاتها رغبة في تحقيق تمام مطلق مع الوجود))<sup>(١١)</sup>.

تظهر الظبية بأفعال فوق طبيعية عن طريق معرفة حاجة الطفل فهي تتجسد بصورة امرأة لحماية الطفل حي بن يقظان، فتدخل في علاقات الحضور والغياب، بغياب الذات الحيوانية الغريزية إلى ذات مؤنسة تمارس أفعالاً إنسانية واعية، كالرضاعة، والغذاء عن طريق ثمار الأشجار، وحمايته من البرد والحر، والكلام معه، وفهم كلامه اذ احتاجت شيئاً، وهذه هي أقصى درجات العجائبي، اذ يصبح الحيوان يفهم كلام الانسان، أو العكس، يروي ابن طفيل: ((قامت بغذاء ذلك الطفل أحسن قيام. وكانت معه لا تبعد عنه إلا لضرورة الرعي. وألف الطفل تلك الظبية حتى كان بحيث إذا هي أبطأت عنه اشتد بكاءه فطارت إليه. ولم يكن بتلك الجزيرة شيء من السباع العادية، فتربى الطفل ونما واغتذى بلبن تلك الظبية إلى أن تم له حولان، وتدرج في المشي وأثغر...))<sup>(١٢)</sup> نستنتج أن الزمن في هذا النص هو زمن

البحث عن اليابسة، عن الأمان، عن الخطوات الأولى على أرض.

كذلك نجد حي بن يقظان يتفاعل مع الطبيعة، والحيوانات، ((فكان يتبع تلك الظبية وكانت هي ترفق به وترحمه وتحمله إلى مواضع فيها شجر مثمر، فكانت تطعمه ما تساقط من ثمراتها الحلوة النضيجة وما كان منها صلب القشر كسرت له بطواحنها، ومتى عاد إلى اللبن أروته، ومتى ظمئ إلى الماء أوردته، ومتى ضحا ظللته ومتى خصر أدفأته، وإذا جنَّ الليل صرفته إلى مكانه الأول وجللته بنفسها وبريش كان هناك مما ملئ به الثابوت أولاً في وقت وضع الطفل فيه))<sup>(١٣)</sup>، أي ان ((ظواهر الطبيعة بصيغة تلك الأحاسيس والخبرات التي يشعر بها في نفسه فيصورها كما لو كانت تنفعل وتفرح وتغضب وتحب وتكره مثله))<sup>(١٤)</sup>، أي إن حي بن يقظان كان يرى في الحيوان والنبات والظواهر الطبيعية كائنات تشعر مثلما يشعر هو.

يتواجد الفعل العجائبي عن طريق الألفة التي يرسمها الراوي بين حي بن يقظان والحيوانات الأخرى، فكان العالم الإنساني أصبح جزء من العالم الحيواني، أو لا يختلفان تماماً، فنجد أفعال حين بن يقظان تشبه أفعال الحيوانات واصواتها ((وأكثر ما كانت محاكاته لأصوات الطباء في الاستصراخ والاستئلاف والاستدعاء والاستدفاع؛ إذ للحيوانات في هذه الأحوال المختلفة أصوات مختلفة فألفته الوحوش وألفها ولم تنكره ولا أنكرها...))<sup>(١٥)</sup>، في هذه الألفة يصبح حي بن يقظان يحب بعض الحيوانات ويكره غيرها ((فلما ثبت في نفسه أمثلة الأشياء بعد مغيبها عن مشاهدته حدث له نزوع إلى بعضها وكراهية لبعض...))<sup>(١٦)</sup>. وحينما تقدم العمر بالظبية اخذ حي بن يقظان يرعاها كأنها امه، فهذا التجاذب بين الانسان والحيوان يشكل خصيصة بارزة في بناء الرسالة السردية، يقول ابن طفيل: ((الظبية التي كانت أرضعته وربته، فإنها لم تفارقه ولا فارقها إلى أن أسنت وضعت فكان يرتاد بها المراعي الخصبية ويجتني لها الثمرات الحلوة ويطعمها. وما زال الهزل والضعف يستولي عليها ويتوالى إلى أن أدركها الموت فسكنت حركاتها بالجملة وتعطلت جميع أفعالها...))<sup>(١٧)</sup>. فالمكان والفضاء الذي يلف هذه الرسالة ليس تجريدياً، بل له مرجعيات في الخارج، أي تناظري، لكن هذا التناظري الشبيه بالواقع قد حولته الرسالة إلى شيء آخر، مكان آخر لا يشبه الذي في الواقع، فالعلاقة بين الظبية وحي بن يقظان علاقة أمومية حميمة، واللغة بينهم

تجري مثل عالم الانسان، إذ احدهم يفهم الاخر، كذلك الاهتمام والرعاية، كان الفضاء هنا عالم الانسان، وهذه هي الفكرة التي بحث عنها ابن طفيل واراد ايصالها لنا عن طريق السرد العجائبي، كأن تلك الأحداث لا تحدث في أبعاد زمنية، واقعية بل في بعد واحد، في الحاضر، وكل تلك الأفعال ستكون حاضراً أيضاً. فالزمن ((لا يمتلك وجوداً محسوساً، فهو يمثل الامتداد المتقلب لمسيرة الحياة على مدى دهور وسنين أو أيام أو ساعات، فقد أصبح من المتعذر إدراكه بذاته))<sup>(١٨)</sup>.

نستنتج مما سبق أن الحدث هنا يقوم على فعل الخرق، وهو حدث عجائبي، فوق طبيعي، لا تحكمه قوانين الواقع المألوف، كذلك الخرق الواضح للزمان، ففي النصوص السابقة لا نجد الزمان السردى المعروف المحدد، كل هذه المكونات السردية أسهمت بخلق الفعل العجائبي.

## المبحث الثاني

### الشخصية العجائبية

اهم عنصر من عناصر السرد، ف ((تمثل الشخصية مع الحدث عمود الحكاية الفقري))<sup>(١٩)</sup>، والشخصية هو من يقوم بالفعل الذي يتم سرده، سواء كان إنساناً أم حيواناً أم كائناً آخر حقيقياً أو متخيلاً، وتعد الشخصية أحد المقومات الرئيسة في تشكّل النسيج السردى<sup>(٢٠)</sup>، وتظهر الشخصية العجائبية في النص السردى ظهوراً مختلفاً، فهي تمتلك ((قدرات غير اعتيادية، تفوق القدرة البشرية وتتحدى مفاهيمنا النسبية عن الزمان والمكان، والطاقة))<sup>(٢١)</sup> إذ إنها ((في الأدب العجائبي معقدة تعقيداً كبيراً لأنها تجمع بين مختلف الكائنات، فقد تكون عبارة عن بشر أو لا وقد تكون عبارة عن حي أو لا، ذات وجود حقيقي، فوق الطبيعي أو مجرد استيهامات))<sup>(٢٢)</sup> و((تحقق التنوع عن طريق التحول والامتساخ، وتستطيع أن تكون نباتاً أو جماداً، كما تستطيع أن تكون روحاً لا مرئية))<sup>(٢٣)</sup>.

وفي رسالة حي بن يقظان لابن طفيل تولد الشخصيات من عدم أو غياب، أو تولد من الأشجار، أو الجمادات، وتنتقل بين عوالم مختلفة، منها عوالم فوق طبيعية، ومن عوالم طبيعية، في رحلة البحث عن الحقيقة، يروي ابن طفيل فيقول: ((أن جزيرة من جزائر الهند التي تحت خط الاستواء، وهي الجزيرة التي يتولّد بها الإنسان من غير أم ولا أب وبها شجر

يُشمر نساء...) (٢٤).

شخصية حي بن يقظان وهو طفل نجدها شخصية ممسوخة، فقد تفهم كلام الحيوانات، وتحكي مثلها: ((فما زال الطفل مع الأطباء على تلك الحال، يحكي نغمتها بصوته حتى لا يكاد يفرق بينهما. وكذلك كان يحكي جميع ما يسمعه من أصوات الطير وأنواع سائر الحيوان محاكاة شديدة لقوة انفعاله لما يريد)) (٢٥). ((ما يثير الاستغراب. إن الشخصية هنا تفتقد بشكل فجائي هويتها ككائن إنساني وتتحول إلى كائن جديد بهوية مغايرة غريبة ومقلقة)) (٢٦)، ((الشخصية بلا أبعاد أو ملامح أو هي ذات متحولة أو منقسمة على نفسها أو مفتتة إلى ذوات متعددة وهو ما يدل على اهتزاز منظومات القيم وانزواء الإنسان وتهشيمه وتلاشي الفعل البشري وغموض المصير الإنساني)) (٢٧).

وحينما يلتقي أبسال وهو شخصية واقعية حي بن يقظان يتجسد لنا موقف حي بن يقظان الذي لا يفهم كلام البشر، ولا يمتلك اللغة في التفهم، فتلجأ شخصية أبسال شيئاً فشيئاً إلى تعليمه اللغة المتداولة: ((فلما نظر إليه أبسال وهو مكتس مجلود الحيوان ذوات الأوبار وشعره قد طال حتى جلل كثيراً منه ورأى ما عنده من سرعة العدو وقوة البطش فرّق منه فرقاً شديداً وجعل يستعطفه ويرغب إليه بكلام لا يفهمه حي بن يقظان ولا يدري ما هو غير أنه يميز فيه شمائل الجزع. فكان يؤنسه بأصوات كان قد تعلمها من الحيوانات ويجريده على رأسه ويمسح أعطافه، ويتملق إليه ويظهر البشر والفرح به. حتى سكن جأش أبسال وعلم أنه لا يريد به سوءاً. فجعل يكلم حي بن يقظان ويسأله عن شأنه بكل لسان يعلمه ويعالج إفهامه فلا يستطيع، وحي بن يقظان في ذلك كله يتعجب مما يسمع ولا يدري ما هو، غير أنه يظهر له البشر والقبول، فاستغرب كل واحد منهما أمر صاحبه.)) (٢٨)، في هذه الحالة نجد شخصية حي بن يقظان تتحول إلى شخصية فاهمة للغة أبسال، وهو أحد التحولات العجائية التي نحصل عليها في الرسالة، الانتقال من عالم إلى عالم الانس وهو عالم الحس. وهو عالم بالنسبة للشخصية العجائبي عالم الخطر والخوف، والقلق، ((بافتقادها اليقين في علاقتها بما حولها وبمن حولها فتكفي على ذاتها أو تقوم بأفعال تشير إلى لا سويتها)) (٢٩)، وهي شخصية عارية من الملابس كما ظهرت أمام أبسال، وليس العربي إلا دلالة على الانكشاف وزوال كل الدفاعات في مواجهة المصير الإنساني، فابن



طفيل جرد شخصية حي بن يقظان من كل انتماء، فهي شخصية لا تنتمي الى عالم الانسان المادي، وهي شخصية لا تمتلك ما يستر جسدها، وعورتها، خالية من أي دنس أو عيب، لا يوجد ما يلوثها ويجعلها شريرة، بمعنى اخر انها شخصية عبارة عن فكرة تريد ان تنقل رسالة الحياة والوجود الى الأشخاص الذي يجهلون الخالق.

كذلك نجد شخصية ابسال تعلمه الاكل الإنساني، وقد استغرب حي بن يقظان من منظر الاكل، وطريقة ابسال في تناول الغذاء؛ لأنه لم يعهد هذا المنظر في عالمه السابق: ((وكان عند أبسال بقية من زاد كان قد استصحبه من الجزيرة المعمورة فقرّبهُ إلى حي بن يقظان فلم يدر ما هو لأنه لم يكن شاهده قبل ذلك. فأكل منه أبسال وأشار إليه ليأكل، ففكر حي بن يقظان فيما كان ألزم نفسه من الشروط لتناول الغذاء ولم يدر أصل ذلك الشيء الذي قدّم له، ما هو، وهل يجوز له تناوله أم لا! فامتنع عن الأكل. ولم يزل أبسال يرغب إليه ويستعطفه. وقد كان أولع به حي بن يقظان فخشى إن دام على امتناعه أن يوحشه فأقدم على ذلك الزاد وأكل منه.))<sup>(٣٠)</sup>.

ثم يعلمه الكلام: ((فشرع أبسال في تعليمه الكلام أولاً بأول بأن كان يشير له إلى أعيان الموجودات وينطق بأسمائها ويكرر ذلك عليه ويحمله على النطق فينطق بها مقترناً بالإشارة حتى علمه الأسماء كلها ودرّجه قليلاً قليلاً حتى تكلم في أقرب مدة))<sup>(٣١)</sup>.

بعد رحلة حي بن يقظان من عالم فوق طبيعي يتعرف فيه على مجموعة من المخلوقات والموجودات الحيوانية يلتقي بشخصيتين هما (أبسال وسلامان) ((ذكروا أن جزيرة قريبة من الجزيرة التي ولد بها حي بن يقظان... وكان قد نشأ بتلك الجزيرة فينان من أهل الفضل والرغبة في الخير يسمى أحدهما أبسال والآخر سلامان...))<sup>(٣٢)</sup>.

وقد قرر أبسال أن يلتقي بحي بن يقظان بعد سماعه به ((وكان أبسال قد سمع عن الجزيرة التي ذكر أن حي بن يقظان تكون بها وعرف ما بها من الخصب والمرافق والهواء المعتدل... فجمع ما كان له من المال واشترى ببعضه مركباً تحمله إلى تلك الجزيرة وفرّق باقيه على المساكين وودّع صاحبه سلامان وركب متن البحر، فحملة الملاحون إلى تلك الجزيرة ووضعوه بساحلها وانفصلوا عنها))<sup>(٣٣)</sup>.

بعد مدة من الزمن يطوف ابسال في الجزيرة من غير أن يرى حي بن يقظان، وذات مرة ((اتفق في بعض تلك الأوقات أن خرج حي بن يقظان لالتماس غذائه وأبسال قد ألمَّ بتلك الجهة، فوقع بصركل منهما على الآخر))<sup>(٣٤)</sup>، وفي هذه الحالة نجد شخصية حي بن يقظان تنبهر امام منظر ابسال ويدخل الخوف في نفسها، والرعب لهذه المنظر ((فلم يدر ما هو لأنه لم يره على صورة شيء من الحيوانات التي كان قد عاينها قبل ذلك. وكان عليه مدرعة سوداء من الشعر والصوف فظن أنها لباس طبيعي. فوقف يتعجب منه ملياً. وولّى أبسال هارباً منه خيفة أن يشغله عن حاله، فاقتفى حي بن يقظان أثره لما كان في طباعه من البحث عن الحقائق. فجعل حي بن يقظان يتقرب منه قليلاً قليلاً وأبسال لا يشعر به حتى دنا منه))<sup>(٣٥)</sup>. ومثلما يدخل الخوف والقلق الى قلب حي بن يقظان كذلك كذلك يخاف ابسال منه فالشخصيات العجائبية تبث الخوف والرعب في قلوب الشخصيات الطبيعية المجاورة لها في المحكيات نفسها.

طلب حي بن يقظان من ابسال ان يساعده في رحلة يكون الغرض منها نصح الناس، وارشادهم، وتعليمهم بما يعرفه من الحكمة والموعظة، فشخصية ابسال التي ظهرت داخل البناء السردى قامت بدور المساعدة للبطل، كذلك فتحت مجال الحكى عن طريق نقله الى عالم خارج الجزيرة التي لا يعرف فيها سوى الحيوانات والأشجار، ((فلما اشتد إشفاقه على الناس وطمع أن تكون نجاتهم على يديه حدثت له النية في الوصول إليهم وإيضاح الحق لديهم وتبنيه لهم، ففاوض في ذلك صاحبه أبسال وسأله هل تمكنه حيلة في الوصول إليهم فأعلمه بما هم فيه من نقص الفطرة والإعراض عن أمر الله، فلم يتأت له فهم ذلك وبقي في نفسه تعلق بما كان قد أمله... فشرع حي بن يقظان في تعليمهم وبث أسرار الحكمة إليهم))<sup>(٣٦)</sup>.

لكن وجد حي بن يقظان أن هؤلاء الناس لا تنفع معهم الحكمة والموعظة، لذلك يصاب بنوع من اليأس على حالهم، فكل حزب بما لديهم فرحون، وبعد ان تنتهي مهمتهما يعودان جزيرتهما ((فودعاهم وانفصلا عنهم وتلطفا في العود إلى جزيرتهما حتى يسر الله - عز وجل - عليهما العبور إليها. وطلب حي بن يقظان مقامه الكريم بالنحو الذي طلبه أولاً حتى عاد إليه واقتدى به أبسال حتى قرب منه أو كاد، وعبد الله في تلك الجزيرة حتى أتاهما اليقين.))<sup>(٣٧)</sup>.

إن أهم شيء نلاحظه في شخصية حي بن يقظان هو فكرة الرحلة، فهي عنصر مركزي في مجرى الحكى، تمثلت بالانتقال من عالم الى اخر، ومن حالة الى اخرى بما تتيحه من تغير على مستوى مادة الحكى ومنظورات السرد في أي عمل حكاىي يوظف الرحلة فإن غنى الشخصية يزداد خصوبة وثناء بوجود هذا العنصر<sup>(٣٨)</sup>، وتكون الرحلة نفسها بحثاً عن قدرة الذات واستعادة لها<sup>(٣٩)</sup>، فحي بن يقظان قرر العودة الى البداية، وهي العيش في عزلة عن المجتمع، لأنه لم يجد ذاته الحقيقية الصافية في هذا العالم المادي الذي اصبح مستلباً من كل جهة وصوب. وتكمن عبقرية ابن طفيل في هذه التوظيف لشخصية حي بن يقظان الذي تكلم عن طريقه بأفكاره الفلسفية.

### المبحث الثالث

#### الوصف

يشكل الوصف مع السرد ((وحدة فنية متكاملة لا يمكن فصل أحدهما عن الآخر))<sup>(٤٠)</sup>، وهو من العناصر المهمة التي اعتمد عليها ابن طفيل في رحلته وتنقله بين العوالم الوصف، وقد ساعد فعل الوصف هذا نمو الحدث العجائبي والشخصية، اذ نجد الوصف يحاكي الطبيعة التي نشأت فيها هذه الشخصيات، ويفصل في تكوينها، كذلك يخدم الوصف ابن طفيل في توظيف اسئلته الفلسفية ويخدم أفكاره اثناء السرد، فبعد ان غادر حي بن يقظان مرحلة الطفولة اخذ ينظر لمن حوله من الموجودات الحيوانية، وتعلّم منها، واخذ يقارن بين نفسه وماهيته وبين الحيوانات الأخرى، وكل ذلك يأتي في سرد ابن طفيل عن طريق توظيف الوصف: ((وكان في ذلك كله ينظر إلى جميع الحيوانات فيراها كاسية بالأوبار والأشعار وأنواع الريش، وكان يرى ما لها من العَدُو وقوة البطش وما لها من الأسلحة المعدة للدفاع من ينازعها مثل القرون والأنياب والخوافر والصياصي والمخالب. ثم يرجع إلى نفسه فيرى ما به من العري وعدم السلاح وضعف العدو وقلة البطش عندما كانت تنازعه الوحوش أكل الثمرات وتستبد بها دونه وتغلبه عليها فلا يستطيع المدافعة عن نفسه ولا الفرار عن شيء منها. وكان يرى أترابه من أولاد الظباء قد نبتت لها قرون بعد أن لم تكن وصارت قوية بعد ضعفها في العَدُو، ولم ير لنفسه شيئاً من ذلك، فكان يفكر في ذلك ولا يدري ما سببه.))<sup>(٤١)</sup>.

أو الوصف الذي يستعمله ابن طفيل في وصف الحيوانات، فبعد موت الطيبة يدخل حي بن يقظان في سؤال سبب الموت والتحلل، وهنا يقوم بتشريح الطيبة لكي يتوصل الى العلة، وابن طفيل يوظف الوصف لنقل الحدث السردي وبنائه: ((وكان قد شاهد قبل ذلك في الأشباح الميتة من الوحوش وسواها أن جميع أعضائها مصمتة لا تجوف فيها إلا القحف والصدر والبطن...))<sup>(٤٢)</sup>.

لذا فالوصف عند ابن طفيل يمتاز بشدة الملاحظة ودقة الانتباه وقوة البصيرة، وهي الأمور التي توافرت لديه، فساعدته على أن ينقل إلينا صور الأشياء كاملة بنعوتها الصحيحة، يروي في وصف تشريح الطيبة، ومحاولة حي بن يقظان التوصل الى العلة التي عطلتها عن الحياة، فجمع مجموعة من الآلات الطبيعية كالأحجار والصخور وشقوق القصب، ((فغزم على شق صدرها وتفتيش ما فيه، فاتخذ من كسور الأحجار الصلدة وشقوق القصب اليابسة أشباه السكاكين، وشقَّ بها بين أضلاعها حتى قطع اللحم الذي بين الأضلاع وأفضى إلى الحجاب المستبطن للأضلاع فرآه قويًا، فقوي ظنه بأن مثل ذلك الحجاب لا يكون إلا لمثل ذلك العضو وطمع بأنه إذا تجاوزه ألقى مطلوبه، فحاول شقه فصعب عليه لعدم الآلات ولأنها لم تكن إلا من الحجارة والقصب، فاستجدها ثانية واستحدها وتلطف في خرق الحجاب حتى انخرق له فأفضى إلى الرئة، فظن أنها مطلوبه فما زال يقلبها ويطلب موضع الآفة بها...))<sup>(٤٣)</sup>.

كذلك الوصف الذي يستعمله في الطريقة التي توصل بها الى معرفة دفن امه عن طريق محاكاة الطبيعة: ((ثم إنه سنع لنظره غرابان يقتتلان حتى صرع أحدهما الآخر ميتًا، ثم جعل الحي يبحث في الأرض حتى حفر حفرة فوارى فيها ذلك الميت بالتراب، فقال في نفسه: ما أحسن ما صنع هذا الغراب في مواراة جيفة صاحبه وإن كان قد أساء في قتله إياه! وأنا كنت أحق بالاهتداء إلى هذا الفعل بأمي! فحفر حفرة وألقى فيها جسد أمه وحنًا عليها وبقي يتفكر في ذلك الشيء المصرف للجسد لا يدري ما هو!))<sup>(٤٤)</sup>.

إن جميع أفعال التجربة التي نقلها لنا ابن طفيل في هذه الرسالة جاءت عن طريق الوصف، ((واتفق في بعض الأحيان أن انقذت نار في أجمة قلع على سبيل المحاكاة، فلما بصر بها رأى منظرًا هاله وخلقًا لم يعتده قبل، فوقف يتعجب منها مليًا وما زال يدنو منها

شيئاً فشيئاً فرأى ما للنار من الضوء الثاقب والفعل الغالب حتى لا تعلق بشيء إلا أتت عليه وأحالتها إلى نفسها، فحملته العجب بها وبما ركب الله تعالى في طباعه من الجرأة والقوة على أن يمد يده إليها وأراد أن يأخذ منها شيئاً فلما باشرها أحرقت يده فلم يستطع القبض عليها...))<sup>(٤٥)</sup>. فالوصف هنا يجسد المظهر الخارجي للنار، فضلاً عن تجسيد المشاعر والأحاسيس وما يكمن فيها من اضطرابات<sup>(٤٦)</sup>، فقد وقف حي بن يقظان امام النار موقف المتعجب المنبهر منها، وهذا بدوره دفعه الى تجربتها، وتحليلها، ومعرفة مكوناتها، وحقيقتها، ودائماً ما يرتبط الوصف في نص الرسالة بمظاهر الخوف أو القلق مثلما راينا في وصف النار، أو بمظاهر الأشياء الغريبة التي تظهر له من غير معرفتها، ونلاحظ مما سبق ان التوصيف كان ترجماناً للمشاعر، وبناءً للتصورات، وتجسداً للمواقف، وما كان لنا ان نستشف ذلك لولا السمة التأملية التي منحها ابن طفيل الى خطابه السردى، فالتوصيف الذي قدمه ابن طفيل للنار اعطى للخطاب زخماً فنياً تخلياً ذا تأثير عميق في نفسية المتلقي، فهو خطاب يبنى سردياً بمحتويات ومضامين فلسفية تناقش قضايا الوجود والحياة والموت.

إن الوصف ليس دائماً وصفاً للواقع، وإنما هو أشبه ما يكون بالممارسة النصية، إذ يعتمد ابن طفيل إلى وصف ابن طفيل الى وصف الحيوانات من حيث هيئاتها الخارجية و سلوكها<sup>(٤٧)</sup>، فضلاً عن وصف الجوانب التي تختلف فيها، والفروق بينها، وحرركاتها واختلافها عن بعضها، ثم لونها، وهكذا اسهم الوصف الى بنية سردية متماسكة في جميع جوانبها ((ثم كان ينظر إلى نوع منها: كالطباء والخيل وأصناف الطير صنفاً صنفاً، فكان يرى أشخاص كل نوع يشبه بعضه بعضاً في الأعضاء الظاهرة والباطنة، والإدراكات والحركات والمنازع، ولا يرى بينها اختلافاً إلا في أشياء يسيرة بالإضافة إلى ما اتفقت فيه))<sup>(٤٨)</sup>، وبهذا يعد الوصف السردى وسيلة تخدم بناء عناصر حركية السرد بصورة مباشرة أو غير مباشرة في تطورها<sup>(٤٩)</sup>.

## الخاتمة:

نخلص مما تقدم الى:

١- العجائبي في رسالة حي بن يقظان عنصر مهم؛ لأنها رحلة بين العوالم من العالم غير المحسوس الى العالم المحسوس، وهذا ما يتطلب من ابن طفيل الى توظيف

## العجائبي لإيصال أفكاره.

٢- تمثل الحدث العجائبي بالخرق للأفعال، فهناك خرق لأفعال الطبيعة والواقع، مثل الولادة من غير أم ولا أب، رعاية الطيبة لحي بن يقظان، فهنا تدخل الحيوان غير العاقل مع الحيوان العاقل على مستوى الأفعال واللغة وطريقة العيش والحماية.

٣- هناك شخصيات عجائبية ساعدة على تطوير الحدث، مثل الطيبة التي كانت تفهم كلام حي بن يقظان الانسان، ومثل حي بن يقظان نفسه في فهم كلام الحيوانات، وتنقله في الجزيرة. كذلك الخرق للزمان وهو عنصر عجائبي مهم، كذلك السفر عبر السفن في البحار والجزر، اذ لا نجد قوانين الطبيعة في هذا السفر، وكأنه شيء خارق، ومخالف لقوانين الطبيعة الواقعية.

٤- الوصف شكل عنصرا عجائبيا محوريا في بناء الرسالة، وفي إيصال الأفكار أيضا، وقد تمثل الوصف في جميع أجزاء الرسالة ومكوناتها، فهو موجود في الجزيرة، وفي السفر، وفي التشريح للحيوانات، وكذلك في المقارنة بين جسم الحيوان وجسم الانسان، فأحد اهم عناصر البناء في هذه القصة.

٥- لم يعد العجائبي للمتعة الجمالية مثلما نجده في بعض النصوص السردية القديمة والحديثة، ولكن أدى دورا مهما، وقدم أفكار ابن طفيل الفلسفية والدينية.

## هوامش البحث

- (١) الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد الزركلي (ت ١٣٩٦) : ٦ / ٢٤٩.
- (٢) السرد الفلسفي للحياة الطبيعية عند ابن طفيل، زهير الخويلدي، الحوار المتمدن-العدد: ٦٣٦٤ - ٢٠١٩م، مقال منشور على شبكة الانترنت.
- (٣) ينظر: القصص اللغوي والفلسفي، موسى سليمان، ط١، دار الكتاب اللبناني، لبنان-بيروت، ١٩٨٥م: ٢٦٠ وما بعدها.
- (٤) معجم مصطلحات نقد الرواية، لطيف زيتوني : ٧٤
- (٥) بنية المتخيل في نص ألف ليلة وليلة، المصطفى مويقن : ٢٣٥

- (٦) ينظر: رسالة حي بن يقظان، ابن طفيل : ٦. والقصص اللغوي والفلسفي، موسى سليمان: ٢٦٠.
- (٧) رسالة حي بن يقظان: ٧.
- (٨) مدخل الى الأدب العجائبي، تزفتان تودوروف، تر: الصديق بوعلام : ١٥١
- (٩) رسالة حي بن يقظان، ابن طفيل: ٧.
- (١٠) أنماط الشخصية المؤسطرة : ص ١٢٨
- (١١) السرد الروائي وتجربة المعنى، سعيد بنكراد: ١٧٠
- (١٢) رسالة حي بن يقظان، ابن طفيل : ٧.
- (١٣) رسالة حي بن يقظان: ١٠.
- (١٤) التفكير العلمي، د. فؤاد زكريا: ٥٠
- (١٥) رسالة حي بن يقظان : ١٠.
- (١٦) رسالة حي بن يقظان : ١٠.
- (١٧) رسالة حي بن يقظان: ١١.
- (١٨) بناء الشخصية في الرواية، الرواية العراقية أنموذجاً، د. مصطفى ساجد الراوي : ٢٦
- (١٩) معجم السرديات، محمد القاضي وآخرون: ٢٧٠.
- (٢٠) ينظر: اقنعة النص، سعيد الغانمي: ١٤٤.
- (٢١) المناطات في الموروث الحكائي العربي، دعد الناصر : ٢٩٧
- (٢٢) العجائية في أدب الرحلات، علاوي الخامسة، رسالة ماجستير : ١١٣
- (٢٣) شعرية الرواية الفنتاستيكية، شعيب حليفي : ٢٠١
- (٢٤) رسالة حي بن يقظان، ابن طفيل: ٥.
- (٢٥) رسالة حي بن يقظان: ١٠.
- (٢٦) الغرابة، المفهوم وتجلياته في الأدب، شاعر عبد الحميد: ٨٦
- (٢٧) أنماط الرواية العربية الجديدة، شكري عزيز الماضي : ٢٤٨.
- (٢٨) رسالة حي بن يقظان: ٥٠.
- (٢٩) الرواية العربية، المتخيل وبنيته الفنية، يمنى العيد: ٤٥
- (٣٠) رسالة حي بن يقظان: ٥١.
- (٣١) المصدر نفسه: ٥١.
- (٣٢) المصدر نفسه: ٤٨.
- (٣٣) رسالة حي بن يقظان: ٤٨.
- (٣٤) المصدر نفسه: ٤٩.
- (٣٥) المصدر نفسه: ٤٩.

- (٣٦) المصدر نفسه: ٥٢-٥٣.
- (٣٧) رسالة حي بن يقظان: ٥٤.
- (٣٨) ينظر: الرواية والتراث السرد، من أجل وعي جديد بالتراث، سعيد يقطين: ٦٥.
- (٣٩) ينظر: الحديقة الظل، ياسين النصير: ١٩٥.
- (٤٠) ينظر: الوصف في رواية النجمة في التراب فاطمة عيسى جاسم: ٤٣.
- (٤١) رسالة حي بن يقظان: ١٠.
- (٤٢) رسالة حي بن يقظان: ١٢.
- (٤٣) المصدر نفسه: ١٣.
- (٤٤) المصدر نفسه: ١٥.
- (٤٥) رسالة حي بن يقظان: ١٥.
- (٤٦) ينظر: في بنية النص السرد. حميد الحمداني: ٨٧-٨١.
- (٤٧) ينظر: شعرية الفضاء، حسين نجمي: ٧٢.
- (٤٨) رسالة حي بن يقظان: ١٩.
- (٤٩) ينظر: البناء الفني لرواية الحرب في العراق، عبد الله إبراهيم: ١٨٠.

### قائمة المصادر والمراجع

#### أولاً - الكتب المطبوعة:

- الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي (ت ١٣٩٦ هـ)، ط٥، دار العلم للملايين، لبنان-بيروت، ٢٠٠٢ م.
- اقنعة النص، سعيد الغانمي، دار الشؤون الثقافية، بغداد-الاعظمية، ط١، ١٩٩١ م.
- أنماط الرواية العربية الجديدة، د. شكري عزيز الماضي المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ٢٠٠٨ م.
- أنماط الشخصية المؤسرة، في القصة العراقية الحديثة، د. فرج ياسين، دار الشؤون الثقافية، بغداد، الطبعة الأولى، ٢٠١٠.
- بناء الشخصية في الرواية، الرواية العراقية أنموذجاً، د. مصطفى ساجد الراوي، مركز عبادي للدراسات والنشر، صنعاء، ط١، ٢٠٠٣ م.



- البناء الفني لرواية الحرب في العراق (دراسة لنظم السرد في الرواية المعاصرة) عبد الله إبراهيم، دار الشؤون الثقافية العامة - بغداد، ط١، ١٩٨٨م.
- بنية المتخيل في نص ألف ليلة وليلة، المصطفى مويقن، دار الحوار للنشر والتوزيع، سورية، ط١، ٢٠٠٥م.
- بنية النص السردى (من منظور النقد الأدبي)، حميد الحمداني، المركز الثقافي العربي - دار البيضاء، ط٣، ٢٠٠٠م.
- التفكير العلمي، د. فؤاد زكريا، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٧٨م.
- رسالة حي بن يقظان، ابن طفيل، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر - القاهرة، ط١، ٢٠١٢م.
- الرواية العربية، المتخيل وبنيتها الفنية، يمنى العيد، دار الفارابي، بيروت، ط١، ٢٠١١م.
- الرواية والتراث السردى، من أجل وعي جديد بالتراث، سعيد يقطين، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط١، ١٩٩٢م.
- السرد الروائي وتجربة المعنى، سعيد بنكراد، المركز الثقافي العربي، دار البيضاء، ط١، ٢٠٠٨م.
- شعرية الرواية الفنتاستيكية، شعيب حليفي، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط١، ٢٠٠٩م.
- شعرية الفضاء، حسين نجمي، المركز الثقافي العربي - المغرب، ط١، ٢٠٠٠م.
- الغرابة، المفهم وتجلياته في الأدب: شاكر عبد الحميد، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ٢٠١٢م.
- القصص اللغوي والفلسفي، موسى سليمان، ط١، دار الكتاب اللبناني، لبنان - بيروت، ١٩٨٥م.
- مدخل الى الأدب العجائبي، تزفيتن تودوروف، ترجمة، الصديق بوعلام، دار شرقيات للنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ١٩٩٤م.
- معجم السرديات، محمد القاضي واخرون، دار محمد على للنشر - تونس، ط١، تونس، ٢٠١٠م.
- معجم مصطلحات نقد الرواية، لطيف زيتوني، دار النهار للنشر، بيروت، ط١، ٢٠٠٢م.
- النماذج في الموروث الحكائي العربي، دراسة في النص الثقافي والبنية السردية، د. دعد الناصر، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨م.

### ثانيا - المجلات والدوريات:

- الحديقة الظل، ياسين النصير، مجلة الأقلام، السنة الرابعة والأربعون، ع ٣، تموز وآب وأيلول، ٢٠٠٩ م.
- السرد الفلسفي للحياة الطبيعية عند ابن طفيل، زهير الخويلدي، الحوار المتمدن-ع: ٦٣٦٤ - ٢٠١٩م، مقال منشور على شبكة الانترنت.
- الوصف في رواية نجمة في التراب لغازي العبادي، فاطمة عيسى جاسم، مجلة جامعة /تكريت للعلوم، ع: ٤، ٢٠١٣م.

### ثالثا - الرسائل والاطاريح:

- العجائية في أدب الرحلات، رحلة ابن فضلان أنموذجاً، علاوي الخامسة، رسالة ماجستير، كلية اللغات والآداب، جامعة منتوري، قسنطينة، ٢٠٠٥.